مكتبة الشير لنشر تراث الإمام ابى العزائم تقدم

البشيرُ ابو العزائِم

رجلٌ من آل العزائم... 1991/1922

مقدمـــــة

-*-*-

من الوفاءِ أن نذكرَ الفضلَ لأهلــهِ
و من الواجبِ أن نسجلَ ذلك الوفاء
و قد كانت حياة الوالد

السيد/ محمد البشير ماضى ابوالعزائم

وفاءً مــن البداية .....
وواجباً يؤديه حتى النهايــة .....

سعيد البشيرابوالعزائم

البشيـــرُ إنســـاناً

السماحة المطلقة سماحة الوجه وسماحة الفؤاد والعطاء بلا نهاية عطاء عند المقدرة وعطاء عند الاحتياج والتواضع الجم وانكار الذات هكـذا كان البشير وهكذا كانت بدايته , انسانا يعيش بين الناس بقلبـــه يفيض حبا ورحمة , يحب الناس ويحب الخير للناس جميعا , يبذل الخير للناس جميعا ويؤثر على نفسه ويعطى الناس جميعا وكما قال اللـــه تعالى "بسم اللـه الرحمن الـرحيم "ألا ان أولياء اللـه لاخوف عليـهم ولاهم يحزنون "

فقد كان البشيرلاخوف عليه , لاخوف عليه وهو صغير بين والديه واخوته ولا خوف عليه وهوبين أقرانه وزملائه ولا خوف عليه وهو بين اهله وبنيه , كان والده وهو الرجل الصالح التقى وقد بدأ القلق يساوره على ابنـه البشير حيث حان ميعاد سداد مصروفات الدراسة ولم يكن مع الوالد مـا يكفيه من السداد ,وفى هذه الاثناء اذ به يقرأ فى الصحـف أن مـلك البلاد فى ذلك الوقت (الملك فؤاد) قرر أن يعفى الثلاثة الاوائل فى كل صف من المصاريف الدراسية بمناسبة شفاءه فما كان من الوالد إلا أن هلل وكبر باسم الله حيث كانت هذه المرة من المرات النـــادرة التى كان البشير فيها من الثلاثة الاوائل فى المدرسة , وهكذا اطمئـن قلب الوالد وأيقن أن ابنه البشير ذوحظ عند الله كبير وأنه لا خوف عليه , ولقد استمرحال البشيرمع والده على هذا المنوال كلما جد من الاحداث مـا يثير قلق الوالد على البشير ,نجد الوالد قد اطمأن على البشير ,ويظهرذلك عندما انهى البشير دراسته الابتدائية وقد تأهل ليلتحق بالدراسـة الثانوية التى بالتالى تؤهله للجامعة ,ولأن الالتحاق بالـدراســـة الثانوية حين ذاك كانت تكلف الوالد الكثيرمن المصـاريف فنجد الوالد يخبر البشير أنه لا يستطيع الحاقه بالدراسةالثانوية مثل اخويه حيث أن المصاريف قد فاقت طاقته وأنه يطلب من البشير التضحية كعادته دائمـا وأن يلتحق بالمدارس الصناعية التى تطلب مصروفات قليلة ,وذلـــك تخفيفا لأعباء الأسرة المالية .

وقد أخبره والده بأن الله سوف يكرمـه ويكون فى أعلا المناصب ان شاء الله
,فما كان من البشير المعطاءللخير الذى يؤثر على نفسه ويعطى الجميع الاأن قال مثل ما قال سيدنااسماعيل لأبيـه سيدناابراهيم ″يا أبت افعل ما تؤمر ″ وتلك هى صفة الأنســان الطيب وهى التضحية ونكران الذات , ويعلم الله أن هذه الخطــوة قد اثرت على البشير أيما تأثير , الا انه كان قوى الايمان بأن الله سوف يعطيه من الخير الكثير كلما ملأ قلبه بحب الخير للناس جميعاوهنــاتتجلى سمة من سمات انسانية البشير فى أكبر صورها وهى حب الناس وعدم الحقد عليهم
, فنجد البشير الانسان المملؤ حبا وعطاء لا ينظر الى اخوته الذين قد فاقوه فى فترة من فترات حياته مــركــزا ودراسة لا ينظر اليهم نظرةحقد أو كراهية انما نظرةحب وحنان , وكــأن كل تقدم أحرزه اخوته هو تقدم له وكل مكسب حصل عليه اخوته هو مكسب له شخصيا فلا حقد ولا كراهية وانما حب وايثار .

ويستمر حال البشير من حب وعطاء وتضحية حتى يحين موعد الحدث الــذى سوف يُصقل من شخصيته وسوف ينقله من مصاف الشخصيات العادية الى مصاف الشخصيات العامة التى تؤثر فى المجتمع ويؤثر فيها المجتمــع ,ذلــك الحدث الذى غير من حياة البشير تغييرا كبيرا ألا وهو زواجه من كريم الامام ″أبى العزائم″ .
فالبشير قد ازداد مجدا على مجد فهو الآن ليس فقط حفيد الشيخ أحمد ماضى مؤسس جريدة المؤيد الشهير , وليس فقــط ابن السيد محمود أحمد ماضى المحدث والكاتب الاسلامى الكبير ,وانمــا أيضا ها هو الأن يصبح زوجا لكريمة الأمام ″أبى العزائم″ وذلك مجد أيما مجد ,
وكى نستطيع أن نلمس مدى تأثير هذا الحدث الكبير على حياة البشير ومجرياتها نعود قليلا الى يوم زواج البشير وقد وقف والد البشير فى خشوع وأدب أمام ضريح الامام ″أبى العزائم″ وهو يردد فيض خواطره فى هذه اللحظة السعيدة قائلا

مولاى انى فى طرب نشوان ألتزم الأدب

ثم وهو يخاطب الامام ابى العزائم قائلا :

هذا غلامك لا غلامى قد فاز منك بمن تحب

وهكذا قالها الوالد صريحة صادقة أن البشير هو غلام الامام وتلك اشارة لا تخفى على كل ذى لب وفهم وقد نفذت فى اعماق البشير فكانت وكانهـا صرخة مدوية فكن نعم الغلام تنال كل خير , ثم يتجه الوالد فى نفــس القصيدة الى ابنه البشير قائلا له وموجها خطواته فيقول:

أبشيرُ تغنيكَ الصفات فاحفظ لها خير الرُتب
أنجب لمحمودٍ هـواهُ حفيدُ محبوبٍ كُتــب

وهذا الشعور الفياض من الوالد تجاه ابنه البشير كان شعورا ملموسا من الجميع فالبشير كان من والده بمنزلة يوسف من يعقوب وتلك حقيقة لاينكرها أحد , فكم كانت تلك الجلسات الروحانية التى تجمع الوالد وهوكنز عظيم من العلوم مع البشير .
وسوف يذكر التاريخ أن البشير قدحفظ تراث والده الأدبى والفكرى وشارك بالجهد والمال فى نشر هذ التراث العظيم ,وهذه الحقيقة الجلية لا ينكرها اخوة البشير بل يؤكدونها ويزيدون عليهاوتستمر حياة البشير بعد ذلك سيرها الطبيعى بين بسط وقبض و عسر ويسر وهو لا يتكدر ولا يتململ بل يزداد شكرا لله على نعمائه وثقة على أن الله قد كتب له السلامة فى كل أمر ,وكم كانت تلكالمواقف التى كان يقابل فيها بالأساءة فلا يقابلها الابالاحسان وحب الخير للجميع وكان قلبه دائما مملؤا بالايمان و الثقة بالله وقد وهبه الله الخير تلو الخير فأكمل تعليمه الجامعى فى عصامية وجلد وكم قابل من صعاب وعناء فى سبيل ذلك ولكنه الايمان وحب .

ويذكرالبشير يوما أنه كان فى بيته مع أسرته وقد جاءه ضيف وليس فى البيت شىء الا كسرات من الخبز التى لا تفى حق الضيافة فما كان من البشير الا أن تذكر قول الله تعالى"ومن يتق الله يجعل له مخرجا" وهكذا فقد قدر الله المخرج واذ بالباب من ينادي على البشير فيخرج فيجده صديقا قديما قد جاءه ومعه زيارة كعادة أهل الريف ثم اذ به يعطى البشير مبلغا من المال كان البشير قد أعاره اياه من سنين , فما كان من البشير الا أن حمد الله كثيرا وشكر الله كثيرا على نعمائه وتلك هى صفات المؤمنين .

وتمر السنين ويجىء ميعاد الحدثُ الثانى فى حياة البشير الحدث الذى سوف يكمل بناء الشخصية ويحدد الطريق للبشير , فقد مرض الوالد مرض الموت وآن للروح أن تعود الى بارئها ,فما كان من الوالد إلا أن أوصى البشير بجمع تراث الامام أبى العزائم ,وتلك كانت الاشارة وكانت البيان .

فمنذ هذه اللحظة والبشير لا يُرى الا وهو باحثا عن مخطوط من مخطوطات الامام "ابى العزائم" أو قصيدة من قصائده , وكم سافر الاف الأميال وقطع المسافات الطوال وذلك بحثا عن ورقة هنا أو مخطوطٍ هناك ,وكم أنفق من الأموال لشراء ذاك الكتيب أو لطبع ذلك الديوان من دواوين الامام حتى أنه قد جمع فى مكتبته معظم تراث الامام من قصائد ودواوين وكتب وقد كان له الفضل الكبير فى نشر كتاب" اسرار القرآن" وهو تفسير الامام للقرآن وذلك الجهد الجبار من البشير كان تكليفا علويا من الامام , فقد رأى البشير رؤية حقة , اذ رأى فيما يرى النائم أن الامام قد جاءه مع صحبةمن ابناء الامام وقد سلموا على البشير ودعوا له وأعطاه الامام صندوقا خشبيا مملوءا بالكتب وقال له الامام خذ هذا الصندوق وأعط منه لمن تشاء ولكن لا تعط فلان وفلان هذا كان من أحفاد الامام غفر لنا وله الله الغفور الرحيم .

وقـد قام البشير بأداء هذه الوصية خير قيام وكان يؤمن أنهارسالته الكبرى التى كلف بها , فلم يكن يمر عليه يوم الا وهو دائم البحـث عن تـراث الامام ابى العزائم ولم يكن يفيض الله عليه خيرا الا وهو دائم الانفاق فى طبع دواوين الامام ونشر كتب الامام , وفوق ذلك فهولم يبخل بأى من الكنوز التى تحتويها مكتبته الكبيرة على دارس أوباحث أو طالـب علم فى شتى المجالات وخصوصا فى مجال التصوف وعلوم الصوفية وكم ساعد من الدارسين والباحثين والمؤرخين بكتبه ووقته وعلمه , والجميع يشهدعلى ذلك , وكان هذا الجهد جهدا لوجه الله تعالى وحبا فى نشر تـراث الامام أبى العزائم وذلك ليس بغريب على البشير الكريم المعطاء فهذا هو ديدنه ومعدنه الأصيل وهو الكرم والعطاء وتلك سمة اخـرى مـن سـمـات انـسـانيـة البشير ,

فقد كـان البشير منذ مولده وحتى لقاء ربه كريما و كـان معطاء ولا اكون مزيدا اذا قلـت أنه كان حبيب الفقراء فلم يرد سائلا قط ولم يكسر قلب يتيم بـل أنـه كان دائم التودد للفقراء وكان دائم الجلوس معهم فى تواضع وحب وكان بيته دائما ملجأ للمحتاجين والفقراء وكـان البشيـر يقابلهم دائما بابتسامته المعهودة الحانية التىتشيع المحبة بين الجميع .

وقد كـان البشير تجسيدا حيا للآيه الكريمه "وفى أموالهم حق للسائل والمحروم " وتكتمل انسانية البشير من حب للخير وحب للناس وتواضع وحب للفقـراء ومجالستهم وحفظا للتراث والعلم , الى أن يأتى ميعاد الحدث الثالـث فى حياة البشير ذلك الحدث الذى هو نتاج كل الأحداث التى سبقته فيكتب الله للبشير أن ينال أداء فريضة الحج لأول مرة فيذهب البشيرلأداءالحج ويواجه بالأنوارالالهية ويفاض عليه من الرحمات والفيوضات , وينجـذب قلبه جذبة تجعله فى شوقٍ دائم لمشاهدة هذه الأنوار والتمتـع بهـذه السياحة النورانية فيطوف فى بيت الله الحرام ويزور روضة سيد الخلـق أجمعين , سيدنا محمد "صلى الله عليه وسلم" .

ومنذ هذا الحدث والبشير دائم التوجه لأداء الحج وزيارة الحبيب صلى الله عليه وسلم العام تلو العام ودائم التوجه للعمرة تلو العمرة , وقد كان له شوق زائد وتعلق كبير لزيارة المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد جسد البشير هذا المعنى فى أحدى أشعاره قائلا :

ماكنت فى سيرالحياة بتارك حظ الحياةزيارةالوضاء
لكن دعوته أصابت مهجتى لبيت مقهورا بلا ابطاء

وقد كانت آخر رحله عمرة وزيارة المصطفى صلى الله عليه وسلم للبشير فى نفس العام الذى لاقى ربه فيه وذلك هو الختام المسك , اللهم اغفر له وأدخله فسيح جناتك يا رب العالمين .

البشيُر نجمُ آل العزائم

كانت الأسرةالعزمية تحمل لواء الدعوة الاسلامية وتتوارثه جيلا بعد جيل وذلك منذ أن أسس عميد الاسرة ومؤسسهاالامير "ماضى بن مقرب" وهو من قبيلة بنى هلال ,مدينة عين ماضى بالمغرب الأقصى وكان من أحفادالأمير ماضى بن مقرب"الشيخ أبوالعزائم ماضى" تلميذ الشيخ أبوالحسن الشازلى وأبن خالته وقد رافق الشيخ أبوالعزائم ماضى استاذه الشازلى حتىوافت الشازلى المنيه فى صعيد مصر فأكمل الشيخ أبو العزائم ماضى المسيرة وأقام فى دلتا مصرفى بلدة "محلة أبو على" بأقليم الغربيةوكان فى نهاية القرن التاسع عشرحفيدمن احفاد الشيخ أبو العزائم ماضى وهو الامام "محمد ماضى أبو العزائم" الذى حمل لواءالدعوة الاسلاميةفى وادى النيل فى نهاية القرن التاسع عشر وحتى الثلث الأ ول من القرن العشرين . وهكذا كانت أسرةأبى العزائم دائما تخرج الأجيال جيلا بعد جيل ممن يحملون لواء الدعوة العزمية ولا غرابة فى ذلك فان الله تعالى يقول" بسم الله الرحمن الرحيم ذريةً بعضُها من بعض "وآلُ العزائم أبناءالأسرةالعزمية ومنذ أن بدأالامام ابو العزائم رسالتة الكبرى فى الدعوة الاسلاميةونشر التراث الصوفى الحقيقى المبرأ من الخرافات والأكاذيب ذلك التراث الذى هو بحق حقيقة الاسلام وأصلةوكما يقول الامام ابو العزائم عن علم التصوف انه (علم يُعرف منه أحوال النفس فى الخير والشر وكيفية تنقيتها من عيوبها وآفاتها وتطهرها من الصفات المذمومةوالرذائل) .فالتصوف هو علم وليس هوأقوال غامضة وحركات راقصة كما يدعيها الدجالون وأدعياء التصوف ,ومن هنا كانت رسالة الامام أبى العزائم وأبنائه ومريديه هى العمل الدائب على نشر الصوفيه الحقة وعلى حفظها من الدجل والأدعياء ,وقد كانت الأسرة العزمية دائما وعلى مر السنين مستودعا لرجال الدعوة الاسلامية ولم يخل زمان الا وكان هناك رجل من رجال آل العزائم يقوم بالدعوةالاسلامية ونشر حقيقة الصوفية .

والبشيركان رجلاً من هؤلاءالرجال الذين ورثواالدعوةالاسلامية وكانت حياته دائما جهادا فى جهاد لرفع رايةالاسلام والدفاع عن المسلمين والبشير كان من الجيل الثالث بعد الأمام أبى العزائم واذا كان جيل الامام أبى العزائم وأصحابه هم جيل الروادوهم الامام أ بى العزائم وشقيقة السيد احمد ماضى أبوالعزائم مؤسس جريده المؤيد الشهيرة و الشيخ " أبو الليل" وغيرهم الكثير , وكان الجيل الذى يليه هو جيل "البناء" وهم السيد محمود احمد ماضى ربيب الامام وأبن شقيقه وأبناء الامام الشيخ احمد ماضى والسيد محمد الحسن ماضوالسيد عبدالله وتلاميذ الامام الشيخ احمد السبكى والشيخ عبد الباسط والشيخ العقاد وغيرهم الكثيرين الذين تحملوا رسالة الدعوة العزمية ,وكان الجيل الثالث وهو بحق جيل الدعوة حيث حمل هذاالجيل عبأالدعوة العزمية ونشرها وتطويرها وعلى رأس هذاالجيل البشير وريحانة الامام السيد مختار أبوالعزائم وأحفادالامام الدكتور جمال أبو العزائم والسيد عزالدين أبو العزائم وجميع الاحفاد للامام أبى العزائم .

ودارس تاريخ الأسرة العزمية يجد أن البشير هو نجم آل العزائم فى عهده وذلك يظهر حقيقة جلية عندما نعود للوراء الى عهد الامام أبى العزائم وقد كان بحق عالما عاملا بالشريعة والحقيقة وكان مثالا صادقا لورثة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين قال فيهم صلى الله عليه وسلم "واشوقاه الى أحبابى" . والحقيقة أن الامام أبى العزائم لم يرثه أحد قط سواء من أبنائه أوتلاميذه ولكن أقرب ابناءه وتلاميذه الى روحانيته هوالسيد محموداحمد ماضالذى كان أقرب ابناءالامام وتلاميذه اليه , وتأصيل ذلك ان السيد محمود احمد ماضى كان الوحيد الذىتصدى لشرح غوامض واسرارالنظم الصوفى للأمام وقد كان النظم الصوفى للأمام أبى العزائم بحراعميقا من الاسرار والفيوضات التى لم يستطع أن يبحر فيه الا القليل من تلاميذ الامام واذا كان السيد محمود احمد ماضى هو أقرب أبناء الامام اليه وكان تجسيدا لروحانيه الامام ابى العزائم...
فان البشيركان هوالاستمرارلهذه الروحانيه وكان نجما لآل العزائم حقيقة ومعنى .

فالبشير كان ذو روحانية عميقة ورثها من الامام أبى العزائم وكان ذو شفافية ادركها ولمسها جميع من عايشوه وعاملوه فكم من رؤيه رآها ثم تحققت وكم من بشرى كان هوطريقها ومعايشها , وقد كانت شفافية البشيرواضحة عندما يتعامل مع الغرباء فى أول مقابلةمعهم فإذا انقبض قلب البشير مع أى منهم كانت الأيام بعد ذلك تثبت سوء خلق هذاالغريب وتثبتُ سوءأفعاله ,
وأما اذا انشرح صدرالبشيرعند لقاءأى غريب كانت الأيام أيضا تثبت حسن خلق هذا الغريب وحسن أفعاله وهذه كانت بعض آثار الشفافيه العميقة لدى البشير , ويروىالبشير انه فى يوم من الأيام رأى رؤية واذ بوالده يأتيه فى المنام ويقول له "كيما رفاتى تلتقى برفاتكم" فيفيق البشيرعلى دقات الباب واذا بمن يخبره أن عمه قد توفى وأنهم سيدفنونه مع والده ولم تكن الروحانية التى ورثها البشير من الامام أبى العزائم والشفافية العميقه هماالصفتان اللتان تؤهلانه لكى يكون نجم آل العزائم فىعهده ولكن أيضا كان هناك الذوق و الحال على لغه أهل الصوفيه .والذوق هو ذلك الاستعداد الفطرى للانسان الذى يجعله مؤهلا للفهم والتعامل مع الجماليات المطلقة ,والمقصود بالذوق هنا هوالذوق الصوفى .
فالبشير كان صاحب ذوقٍ عالٍ فى بحار الصوفيه . فكم من المعانى الصوفيه التى راح يشرحهاو يفسرها وكم من غوامض الصوفيه التى كان البشير يملك مفاتيحها ومداخلها ولا نكون قد بعدنا كثيرا اذا قلنا أن البشير كان لسان حال الامام من شرح وتفسير لكل كنوزالنظم الصوفى ذات الذوق الرفيع العالى للامام أبى العزائم وكذلك كان البشيرمن أصحاب الاحوال , والحال هنا كما يقول أهل الصوفيه هو ذلك الفيض الروحانى وذلك الالهام الربانى العلوى الذى يغوص فى الوجدان , وكل من عايش البشير كان يلمس مظاهر الحال عند البشيريروى اهل البشير وأبناؤة انه كان اذا ارتفعت درجة حرارته ايذانا بدخول مرض أو وعكة صحيه فان البشير كان يبدأ فى الانشادالشعربويتغنى باقوال الصوفيه , وكم من القصائد التى نظمها البشير وهوفى هذه الحال . وهكذا فان البشير كان نجم آل العزائم وذلك بوراثته لروحانيه الامام ولشفافيته العميقه ولذوقه الصوفى الرفيع ولأحواله والهاماته العلويه .

وهنا يجـب أن نوضح نقطه هامه وهى معنى نجم آل العزائم , فهل نجم آل العزائم هو أكثرهم مالا أوعددا أوهواعـلاهـم مركزا وحسبا او أقربهـم للامام روحانيـه وذوقا وحالاوالحقيقـه أن نجوميه آل العزائم هى القـرب من الامام روحانيه وذوقا وحالا وهكـذا كان البشير رحمه الله رحمة واسـعة وأدخله فسـيح جناته .

البشيـرُ شاعراً وخطيبـاً

ان عوامل البيئة والوراثة والاكتساب هى العوامل الرئيسية فى خلق أى موهبة أو ملكة معينة , وقد كان البشير صاحب موهبة شعرية فذة وملكة فى حفظ الشعـر وروايته كبيرة حتى أنه كان يحفظ عن ظهـر قلب مئات القصائد الشعرية وآلاف الابيات فى شتى الاغراض , واذا أردنا الغوص فى أعماق هذه الموهبة الشعرية وتلك الملكة الكبيرة فى الحفظ سنجدأن البشير قد نشأ فى بيئة شعرية حيث كان يتنفس الشعر منذ الصغر فأجداد البشير كانوا شعراء ووالده كان من فحـو الشعـراء وكذلـك أعمامه وأخواله كانوا شعراء , وهكذا كانت البيئـة والوراثـة هما العاملان الاساسيان فى تكوين الموهبة الشعرية للبشـير ,

وقد بـدأت الموهبة الشعرية للبشير تظهر منذ الصغـر حيث بدأ يحفـظ كل أبيات الشعر التى يسمعها أو التى يقرأها ويدرسها وقد لاحظ والد البشير هذه الموهبة فكان يشجع البشـير دائما على حفظ الشعر ودراسته وفهمه حتى شب حافظا لأمهات القصائد الشعرية ومتذوقا لها وقد كان للشعر تأثيرا كبيرا على حياه البشير اليومـية فكان معظم كلامه يختلط بالشعر وكان يجد سعادة كبيرةعندما ينشـد القصائد ذات المعانى الكبيرة .

وفوق ذلك فقد وهبه الله أذنا شعــرية لا تخطىء أوزان الشعر وتستطيع أن تحدد الموزون من الشعر وغير المـوزون وهذه هى الفطرة الشعرية التى تولد منذ الصغر مع الشعراء .

وكثيرا ما كان البشـير يسـتمع الى قصائد الشعر فيقول فى هذا البيت كسر وهذا البيت لابد أن يكـون بهذا الشكل وهكذا كانت البيئة الفطرية والوراثة وعوامل الاكتسـاب من استماعه لقصائد الشعر وترديدها ودراستها هى الاسباب التى خلقت التكوين الشعرى عند البشير ورغم قلة الانتاج الشعرى الذى خلفـة لنا البشـير وهو "ديوان البشير " الا أننا بدراسة هذا الانتاج سـوف نجد أن معظمه كان ذا صبغة دينية وذلك ليس بغريب حيث كانت الثقافة الدينية هى البحر الذى ينهل منه المعانى والافكار وعند مطالعة ديوان البشير سنجد أن اول قصيدة هى قصيدة"ألحان كان " وهذه القصيدة لها قصـة ذات معنى حيث كان البشير يعانى من وعكة صحية وكان يرقد على نفس الفراش الذى كان ينام فيه"الامام أبو العزائم " وقد أنشد البشير أبيات هذه القصيدة وهو فى حالة بين اليقظة والمنام وقد استكتبها أهله وعندما عُرضت عليه الابيات كان يستغرب أن يقول هو مثل هذه الابيات وقد عرضها على والده حينذاك فقال له الوالد انها روحانيه المكان الذى ترقد فيه , وتقول القصيدة

ألحـــان كـــان

رتلن حال الصفا ألحان كان وأشـهدن بالاجتلا غيبا مصـان

من أنا حال شهودى من أنا ليس لـى رسـم ولكن لى بيان

ترجمت عنى الجوارح ويحها مـا الذى علمته من أسرار كان

كان ذا الوجه ولا شىء يرى غيـره رتـلـوا آى القـرآن

وفى قصيدةٍ أخرى نلمسُ جانبا آخر من جوانــب البعد الانسانى فى شعر البشير فيقول وهو يقوم بزيارة روضة المصطفى ″صلى الله عليه وسلم″وقد أنشد هذه الابيات أثناء قيامه بالعمرة ومــا أكثر العُمرات التى قام بها البشير وهو هنا يفسر كثرة زياراته للمصطفى صلى الله عليه وسلم فيقول

أدعو لكم بالـخير يا أبـنائى وأخـص بالـزوج الكريم دعـائ

ما كنت فى ركب الحياة مقصرا معـــكم وعذرى أن لى آرائـى

ماكنـت فى سيرالحياة بـتاركٍ حـــــــــظ الحياة زيـارة الوضاءِ

لكن دعـوته أصابت مهجـتى لـبيتُ مقهورا بلا ابطاءِ

والبشير كان انسانا عاطفيا حنونا وما أكثر ما كانــت الدموع تجرى على خديه عندما يتفضل الله عليه فيمنحه الفضل والخيـر وفــى هذه القصيدة يقف البشير يوم زفاف ابنه الاصغر وهو فى مدينة (ام سعيد) بدولة قطر فيقول البشير والدموع تجرى فرحا:

هكذا يمنح ربـك من أحــب خلق التــقوى وأثــواب الأدب

ودوام الشــكر عنــوانٌ عـلـى أن ايمان الفـتى قد يحتسـب

فاشكراللــه عـلى النعم التى قد حباك بها بلا أدنى نصـب

فهـو تــوابٌ كـريـمٌ رازقٌ يمنح الحسـنى ويولى بالقرب

وهكذا كان البشير هو ترجمة سريعة لكل الاحاسيس التى يعيشها وذلك لأن الشعر عند البشير لم يكن شعر صنعة أوتكلف انما شعرا وجدانياً يعبر عن النفس ودخائلها بلا تكلف ,ومثال ذلك ما قاله البشير عن صديق من أقرب أصدقائه وقد كان زميلا له أثناء عمل البشير فى شركة الجمعية التعاونية للبترول وكان هذا الزميل من أظرف أصدقاء البشير وقد سافر الى النمسا للزيارة فما كان من البشير الا أن قال:

نمسٌ الى النمسا ذهب

نمسٌ الى النمسا ذهب والشيخ لا يدرى سبب
أتراهُ قد مل المُقام بمصرَ واشتاق الهرب
أتراه يمم لاهياً فنساءَ نمسا كاللعب
فأبوه من قبل غدا وهناك كان له طرب
لولا البرودة فى الشتاء لكان فى حال عجب
أبنى لا تنس الصلاة كن فى العناصر كالذهب
واذا لقيت هناك اخوتك الكرام من العرب
أقرئهمو عنى السلام وأذكر لهم شيخ ا لأ دب
فهو البشير محمداً عالى المراتب و الرتب

وفى هذه القصيدة تظهر مسحة من الدعابة وتلك كانت من علامات أريحية البشير فقد كان بسيطا مرحا مع الأصدقاء وهكذا أيضا جاء شعره الذى أنشده فى أصدقائه أو أصحابه لا يخلو من مسحة مرح ودعابة .

ومثال ذلك ما قاله البشير عندما سأله أحد أبنائه أن يملى له مطلعا عن فتـــاةحسناء شاهدها تأكل جزرا فما كان من البشيـــر الا أن قال فى نفـس اللحظة

حسناءُ تأكل الجزر

حسـنـــاء تأكل الجزر الويـــل منـها و الحـذر

العقل مـنـها راجـف والقلب أضحـى ينبـــهر

مسـت فؤادى نظـرة منها فأضـحـى فى خطـر

ورنت بطـرف سـاهـم نحوى فأعيتـنى الحيـر

يا حسنها لـما بدت فى ذى الحياء وذى الخفر

ونظمُ الشعر وحفظه وروايته لم تكن هى الجوانب الادبيـــة والفكرية فى حياة البشير فقد كان البشير ايضا خطيبا حاضر الذهن مشـهـــورا له بالرأى القوى والحجة , وقد مضى أكثر من عشرين عاما وهو يخطب الجمعة فى مسجد الامام أبى العزائم وفى مساجد مدينة (أم سعيد) بدولة قطــر وقد خطب هناك ما يزيد على العشــر ســنوات .

وقد كان للبشير مواقفه القوية فى خطبه التى ما زال الناس حتى الأن يذكــرونها ونذكر على سبيل المثال موقفه أثناء حرب أكتوبر وفى خطبة الجمعـــة الأخيرة من رمضان وقد بدأت بعض الأخبار غير الطيبة عن حصار مدينة الســـويس وهنا يخبر بعض الأصدقاء البشير أنه سمع من بعض المسؤلين أن طريــق السويس القاهرة ما زال مفتوحا , فما كان من البشير الا أن ردد هذا الخبر فى خطبة الجمعة فأستقبله الناس بفرح وتفاؤل وأنتشر الخبر فى مدينة القاهرةكلها وقد كان والحمد لله بادرة خير وفتح قريب .

ومــن مواقف البشير أيضا فى خطبه أنه عندما قطعت الدول العربية علاقتهــا مع مصر بعد اتفاقية "كامب ديفيد" وبعد مقتل " أنور السادات"وقدكانت الأقلام فى الصحف تسب السادات علنا وكان سب السادات هو البــاب الذى يدخل منه الحاقدون والمنافقون وفى هذا الوقت اذبالبشيــر فاحدى خطبه فى مدينة (أمسعيد) بدولةقطر يخطب قائلا أن الرئيـــــس الشهيد انور السادات , واخذ يمدح مواقفه ويكرمه ,وذلك الموقــف مــن البشير كان عن اقتناع وايمان ولم يزعزعــهُ خوفٌ من سلطةٍ أو فرد .وهكذا كان البشير شاعرا وراويا للشعر يحفظ آلاف الابيـات من الشعــر وكان خطيبا قويا لا يخشـى فى الله لومة لائم .

البشير فى رحــاب اللــه

كانــت آخر كلمات البشــير وهو على الفراش بيــن يدى اللــه قولـه"الحمد لله" وكمــا يقــول اللـــه تعالـــى فى كتابــه الكريـــم بســـم الله الرحمن الرحيـــم " وآخــر دعــواهم أن الحمـــد للـــه رب العـالميـــن "وتلك الكلمات كانت مسك الختام لحياة البشــير .فآخر أيام البشـير مضت كلها وكأنه كان يستعد للقاءالكبير فجمع حوله أبنائه وأوصاهم بأن يترابطوا ويتحدوا , ثم بدأ بأهله فأزال أى سبب للخلاف , وقابلهم بالاحسان والحب ثم اتجه الى فقراء آل العزائم فتقرب اليهم وطلب منهم الدعاء له وسماحهم له اذا كان أخطأ فى حقهم يوما ما وقد سمعته فىآخر أيامه وهو يستعد لدخول المستشفى وكان يقول لى " يا بنى ان ما أصابنى من مرض هو بسبب أننى قد أخطأت فى حق الفقراء وأراد الله أن تكون صفحتى بيضاء عند لقائه والحقيقة فقد كانت صفحـة البشير بيضاء ناصعة لم يشوبها خدش ولم يعكـر صــفو بياضــها ظلم أومين وهذه الشهادة يشهد بها كل من عايش البشير وتقرب منه , كانت آخر خطبه له فى يوم الجمعة الأخير فى حياته وقد خطب ثم ذهب الى المستشفى بعد ذلك وكان وكأنه يودع الأهل والأحباب والناس جميعا فخطــب الجمعة وأفاض الله عليه ما أفاض حتى أن بعض المصلين قام بعد الصلاة وسلموا عليه وهنأوه على تلك الخطبةالعظيمه وبعد الصــلاة مباشرة ذهب البشير الى المستشفى وأمضــى هناك يومين فى انتظار اجراء العملية وفى هذيــن اليومين لم تفارق الابتســامة وجــه البشيــر وكانت السعادة والبهجة والفرح هى الصورة التى يلقاها كل من قابل البشــير ,

وفى صباح الأحد وقبل الدخول الى غرفة العمليات جلس البشير مع أهله وأحبابه يتذكرون الأيام والأحداث وأخذ البشير كعادته دائما يردد أبيات الشعر وما أكثرها و هنا يقول البشير لأحد أبناءه "والله يا بنى ما أدرى أين ستذهب كل هذه الأشعار التى أحفظها بعد العملية"

ثم يبتسم البشيرابتسامته المعهودة ويوصى أبناءه بالحفاظ على تراث الامام " ابى العزائم " وتلك كانت آخر وصايا البشير . وعند دخول البشير غرفة العمليات ودع الأهل وقرأ الفاتحة ويروى الطبيب المسئول عن التخدير أن الحاج بشير كان قبل العملية فى قمة السعادة والفرح وأنه أخذ يتحدث مع الاطباء بحديثاً فى مرح وبساطة جعلت الحاج بشير يدخل قلوب الجميع , وبعد انتهاء العملية يخرج الطبيب ويبلغ أهل البشير بنجاح العملية ثم يدخل أحد أبناء البشير وينظر الى البشير وهنا يسأل الطبيب عن حاله فيقول البشير بصوت مسموع "الحمدلله" ثم يسأله الطبيب أن يحرك يده وقدمه فيحركهما البشير ويقول الحمدلله ويخرج الجميع قائلين الحمد لله .

وفى مساء يوم الثلاثاء الأول من يناير سنة1991 تفيضُ روحُ البشير الى بارئها مودعا الأهل والأحباب ويوارى جثمانه التراب فى مشهد جليل وكما كان فى حياته يجمع الأهل والخلان على الخير فعند وفاته اجتمع كافه أهله وأحبابه وعارفى فضله , وقد كانت حياة البشير دائما سلسلة من العطاء والحب والرحمة وفيوضات من الله له بالاكرام والخير ودليل ذلك أن البشير عند وفاته لم يكن له فى قلوب الناس الا الحب والاحترام والتقدير وقد ترك البشير ذكريات كثيرة لكل من عايشه وقابله وقد صدق من قال عن البشير

أجل بالبشير معانى الوفاء وفيه ترى كل شىء نقاء
وان فزت يوما بذى صحبة فقد كنت فى صحبة الأولياء

رحم الله البشير رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته آمين .

ديوان البشير

قصائد كتبها البشير فى مناسبات عدة

ألحـانُ كـــان

رتلن حال الصفا ألحان كـان
وأشـهدن بالاجتلا غيباً مصـان
من أنا حال شهـودى من أنـا
ليس لى رســم ولكن لى بيان
ترجمت عنى الجـوارح ويحها
ما الذى عرفتـه من أسـرار كان
كان ذا الوجه ولا شـىء يـرى
غـيره رتـلـوا آى القـرآن

كان الحاج البشير يرقد مريضا على فراش الامام أبى العزائم وقد أملى هذه القصيدة وعندما عرضها على والده السيد/محمود احمد ماضى ربيب الامام وابن اخيه , قال لـه أنها روحانية المكان .

أدعو لكــم بالخيــر

———————

أدعو لكم بالـخـير يا أبـنائــى
وأخص بالزوج الكريم دعـائـى
ما كنت فى ركب الحياة مقصـرا
معكم وعـذرى أن لـآرائــى
ما كنت فى سـير الـحياة بـتـاركٍ
حـظ الحيــاة زيـارة الوضــاءِ
لكن دعـوتـه أصـابـت مـهجتــى
لبيــت مقهورا بــلا ابـطــاءِ

فى عام1970 قام البشير بأداء فريضة الحج عن طريق الكويت بالبر
وقد قال هذه القصــيدة وهـو عند دخـولـه المدينة المنورة .

نــِمسٌ إلــى النمسا ذهـب ! ! !

****

نمس الى النمسـا ذهب والشيخ لا يدرِ سبـب
اتراه قد كره المـــقام بمصرفأشتاق الـهرب
أتراه يـمم لاهـياً فنساءُ نـِمسا كاللُعب
فأبوه من قبــل غـدا وهناك كان لـه طرب
لولا البـرودة فـى الشتاء لكان فى حـال عجب
أبُنى لا تنسـى الصـلاة كن فى العناصركالذهب
واذا لقيت هناك أخـــــــــوتك الكرام من العرب
اقرئهمو عنـى السلام وأذكر لهم شيخ الأ دب
فهو البشير محمداً عالى المراتب والرتب

عند زيارة السيد يسـرى منير سعد زميل وصديق الحاج بشيـر الى النمـســـا . اثناء العمل فى الجمعية التعاونية للبترول

هكـــذا

هكذا يمنحُ ربُكَ منْ أحب خُلَقُ التقوى و أثوابُ الأدب

ودوامُ الشكرِ عنوانٌ على أنَّ إيمانِ الفتى قد يُحتسب

فأشكُرِ اللهَ على النِعَمِ التى قد حباكَ بها بلا أدنى نصب

فهو توابٌ كريمٌ رازقٌ يمنحُ الحُسنى ويُولى بالقُرَب

فـى يـوم زفـــاف الابن الأصغـــر للبشيـر (محمود)

يا محمدا البشيــر

. -. -. -. -. -. -. -. -

يا محمداً البشير يا امير ا من امير
جدك العارف بالله وذو علم غزير
جدك الماضى بعزم الـــــــله ذو قدر كبير
وابوك الخير فى الطب نطاسى شهير
ومنال أمك الميمون فأسعد بها يا بشير
نسبها يدلى الى الحســـــنين والمولى الكبير
كن كأجدادك حرا وأنهل العلم الغزير
وتفقه فى علوم الدين تكن حبرا كبير
يا الهى لك أدعو فامنح الخير الوفير
أرضنا يا ربى فيه واجعلن منه سفير
والصلاة على النبى على محمد البشير

عندما قام البشير بزيارة ابنته الصغرى (منال) فى المملكة العربية السعودية عن طريق البر قادما من دولـــة قطر وقد ألقى هذه القصيدة لحفيده (محمد البشير نبيل عارف)

ليسَ يدرى المــرءُ

ليسَ يدرى المرءُ ماذا قد يُصيب لا و لا يعلمُ مقدارَ النصيـب
ربَ ساعٍ أجهدَ النفسَ على أن يفوزَ بما يحبُ ولا مجيبْ
ربما فى غفلةٍ قد نال ما قرر المولى وذا شئىٌ عجيبْ
قدرٌ أنفذهُ اللـهُ إلى أهلهِ بالحقِ حتى قد يُصيبْ
يا قريباً يا مُجيباً رازقاً قدِر الخيرَ و فرِحنا قريبْ

فى يوم زفاف الابن الأصغر للحاج بشـــير (محمود) وكان فى مدينــة "أم سعيد" بدولة قطر 1982 .

لســتُ أدرى

لستُ أدري مـا جرالي لا و لا أعلـمُ حالـي
غيرَ أنـي قد رفعـــــــــتُ الأمرَ لمولىً مُتعالـي
أِكشفِ الغُمةَ إني في إفـــــــــتقارِ زد عيــالـي
يا الهـــي يـا مُعينـي أنت ذُخري أنـت آلـي
تُبتُ فاغفر لي ذنوبي وأقبلَن ربـي سـؤالي
لا تعاملني بأعمالي فأعمالـي وبـالـي

كانت هذه اخركلمات البشيروقد قالها وهويستعد لدخول المستشفى1-1-1991

خيرونـــي

خيروني بين مالٍ و جمال بين دينٍ قلت ذا عين الكمالْ
لست مِمَن يعبدُ المال فلي كنزُ فضلٍ من كبيرٍ مُتعالْ
لا ولا من يعشقُ الحُسن على خُلُق القبح و سوء بالخصالْ
إنما كلُ الذي أبغيه أن يجمعَ الله بُنىَ على الكمالْ
فيُرى نجمٌ مُضيئٌ يحتوى ذاتَ دينٍ ذاتَ حُسنٍ ذات مالْ
تِلكَ من سُنَنِ النبى المصطفى تُنكَحُ الزوجُ لهاتيكَ الخِصالْ
يا إلهى بالحبيبِ المُصطفى فَرِجِ الكُرَب وسارع بالنوالْ

*بمناسبة زواج الابن الأكبر للبشير (محمد)

حسـناء تأكـل الجـزر

حسـناء تأكـل الجـزر الويـل منـها والحـذر
القـلب منـهـا راجـف والـعـقـل منـها ينبهر
مـسـت فـؤادى نـظـرة منـها فأضحـى فـخطر
ورنت بطـرف سـاهـم نـحوى فأعيتـنى الحير
يا حـسنها لـما بدت فى ذا الـحـياء وذا الخـفر

أملى البشير هذه القصيدة فى 1976/2/6 وقد كان مستلقيا على الفراش وسأله ابنه (سعيد) أن يملى عليه مطلعا عـن حسـناء تأكـل جـزرا راها فى معرض الكتاب بالقاهرة .

جَذَبَـتْـــكَ

جذبتك عند حديثها الخلاب وجنى عليك قوامها الجذاب

ونسيت نفسك وارتميت أمامها لهفى عليك أصابك استغراب

أهملت كل مقالة أعددتها أسفا فقد صدت لك الأبواب

وتلعثمت شفتاك وأرتبك الذى كنا نراه مدافا ضراب

قالها البشير عنما كان أحد زملاء البشير مدعوا فى برنام تلفزيونى فى قطـر .

إيـــمـــــاءُ

****

وأومت عينَها نحو السعيد فشاعَ بقَلبِه خفْقٌ شديد

فراوغَ لحظَـةً لكن سهما يتابِعُه ُ فينصهِر الحديد

وما أدرى أكان ابنى شُجاعاً بدا بالطعن مسروراً يُشيد

أم النظراتِ قد أزجت اليه شجاعُ البأسِ بالطعن السعيد

****

وجد البشير على ورقة من أوراق ابنه الثالث ((سعيد)) عنوان مكتوب (عينان نجلاوان) فما كان من البشير الا أن كتب هذه القصيدة تحت هذا العنوان .

أدعو لكــم بالخيــر

ـــــــــــــــــــــ

أدعو لكم بالـخـير يا أبـنائــى
وأخص بالزوج الكريم دعـائـى
ما كنت فى ركب الحياة مقصـرا
معكم وعـذرى أن لـآرائــى
ما كنت فى سير الـحياة بـتـاركٍ
حـظ الحيــاة زيـارة الوضــاءِ
لكن دعـوتـه أصـابـت مـهجتــى
لبيــت مقهورا بــلا ابـطــاءِ

فى عام1970 قام البشير بأداء فريضة الحج عن طريق الكويت بالبر وقد قال هذه القصــيدة وهـو عند دخـولـه المدينة المنورة .

أ أرى حفيـــدا

***. ***. ***. ***

أ أرى حفيـداً للبشيرِ مُنيــرا
أم ذا سـعيدٌ من جديدِ صغيرا
أم ذاكَ سِرُ أبى العزائم أشرقت
أنوارهُ فينــا وكان بـــشيـرا

- **قالها البشيـــر عندمـــا رأى حفيـده ((نادر سعيد)) لأول مرة .**